# الموري الذي كاد أن يتربّع على عرش روما

**أ. د./ محمد لحبيب بشاري**
**قسم التاريخ/ جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله**
**bachariml@yahoo.fr**

**الملخص:**

أنجبت بلاد المغرب القديم في العصر الروماني شخصيات عديدة لعبت دورا كبيرا في بناء الدولة الرومانية وفي رقي حضارتها، من بينها القائد الموريطاني لوسيوس كيتوس الذي ارتقى في المراتب العسكرية حتى وصل إلى أعلاها، وقد ساهم مساهمة فعالة في توسيع الإمبراطورية الرومانية بإخضاعه داكيا وبلاد الرافدين وأرمينيا، وبإنهاء الوجود اليهودي بصفة نهائية في فلسطين بعد وضعه حدا لثورتهم على السلطة الرومانية، بفضل قوة شخصيته وشجاعته وكفاءته وقدرته على القيادة والتخطيط. لقد أثارت خصال هذا القائد الموري إعجاب الإمبراطور تراجانوس، الذي قرّبه منه وجعله أقرب مساعد له، وذهبت به ثقته فيه أن فكّر في توريثه العرش الروماني بعده، لكن هذا المشروع فشل بسبب وفاته المفاجئة والدّسائس التي حاكتها زوجته بالتّواطؤ مع هادريانوس لإيصال هذا الأخير إلى سدة الحكم، وكان جزاءه في الأخير الاغتيال.

**الكلمات المفتاحية:** موريطانيا، لوسيوس كيتوس، تراجانوس، اليهود، داكيا.

**Resumée:**

Le pays du Maghreb antique a donné naissance à de nombreuses personnalités dans tous les domaines , qui ont joué un grand rôle dans le soutien à l'expansion de l'État romain et le progrès de sa civilisation, parmi lesquelles le chef mauretanien Lusius Quietus, qui a gravi les échelons militaires jusqu'à ce qu'il atteigne le plus haut niveau, et a activement contribué à l'expansion de l'Empire romain en subjuguant la Dacie , La Mésopotamie et l'Arménie, et mis une fin définitive a la présence juive en Palestine ,après avoir mis fin à leur révolte contre le pouvoir romain, grâce à la force de sa personnalité, de son courage, de son efficacité et de sa capacité à planifier et à diriger, ce qui a impressionné l'empereur Trajan, qui en a fait l'un de ses plus proches collaborateurs. Et a pensé en faire son héritier, mais ce projet a échoué en raison de sa mort soudaine et des intrigues que sa femme a tissées en collusion avec Hadrien, qui a planifié l'assassinat du chef mauretanien.

**Mots clés:** Mauretanie, Lusius Quietus, Trajan, Les juifs, Dacie.

اتّبعت روما في احتلالها لبلاد المغرب القديم سياسة المراحل، حيث احتلت قرطاجة بعد أن دمّرتها وأزالتها من الوجود في سنة 146ق.م.، وقرنا بعد ذلك جاء دور نوميديا التي احتُلت في سنة 46ق.م.، وقرابة قرن بعد ذلك سقطت موريطانيا في 40م.

إنّ تباطؤ روما في احتلال بلاد المغرب القديم كان اختيارا استراتيجيا، بحيث لم يكن في وسعها مواجهة كل سكان المغرب دفعة واحدة، وحتى بعد الاحتلال لم تنعم بالأمن

والاستقرار، إذ لم تكن تهدأ ثورة إلا لتنفجر أخرى، نظرا لعدم قدرتها توفير الأعداد الكافية من الجنود لفرض رقابة صارمة على كلّ جزء من بلاد المغرب، لذلك اكتفت في تثبيت وجودها بالسيطرة على المناطق الإستراتيجية مثل المرتفعات والمعابر والطرقات، بإقامتها خط اللّيمس، ورغم ذلك استمر الوضع الأمني في التّردي، ولم ينعم المستوطنون بما حصلوا عليه من أراض زراعية، وذلك لشساعة المنطقة وأبعادها الكبيرة وتضاريسها المعقدة، فعمدت إلى إتباع سياسة الجزرة والعصا في تعاملها مع الأهالي، وذلك بالعمل في عدة اتجاهات في نفس الوقت.

**أوّلا:** استغلال ظروف الأهالي الاجتماعية السّيئة بعد أن فقدوا كلّ ما يملكونه لصالح المحتل، بإغرائهم على الانخراط في الجيش الروماني ضمن الوحدات المساعدة (Auxiliaire) لتدعيم الفرق النظامية الرومانية، مقابل الاستفادة من بعض الامتيازات، منها الحصول على حقوق المواطنة الرومانية بعد عشرين أو خمسة وعشرين سنة من الخدمة العسكرية، وبعض الامتيازات المادية الأخرى مثل الحصول على راتب خلال الخدمة، وتقاعد بعد ذلك وأحيانا قطعة أرض.

لقد ظنّت روما أنّها بهذه الوحدات يمكنها فرض رقابة صارمة على الأهالي، وفي هذا السياق جاء تكوين وحدات عسكرية مساعدة مورية ونوميدية وجيتولية عديدة منها: وحدة الأجنحة الجيتولية (Ala Getula)،[1] والكتيبة المسولامية (Cohors I Flavia Musulamiorum)،[2] ووحدة الفرسان والمشاة الموريين[3] (Equites et pedites mauri) والوحدة الفلافية الإفريقية (Cohors Flavia Afrorum)[4]، والوحدة المورية الثانية (Cohors II

---

1- Benseddik (N.), Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire, Alger, 1979, p. 33.

2- Ibid, p. 58.

3- Ibid, p. 69.

4- Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs (2eme édition), 1912, p. 200.

(Maurorum،[1] ووحدة الفرسان الموسلاميين (Cohors Musulamiorum equita)، والوحدة الأولى النّوميدية (Cohors I Numidarum).

**ثانيا:** سعي روما إلى كسب دعم زعماء القبائل خاصة القوية منها، بمنحهم امتيازات عديدة، منها لقب ملك وكلّ رموز الملكية كالصّولجان والعباءة والكرسي العاجي، والأراضي الشّاسعة، مقابل مساعدتها في الحفاظ على الأمن والاستقرار وضمان تدفق ثروات المنطقة عليها، باستغلال سلطتهم على الأهالي من أبناء جلدتهم ومنعهم من التّمرّد، وكذلك مدّ روما بجنود يعملون ضمن الوحدات المساعدة، مثلما حدث مع عائلة نوبل زعيم قبيلة يوبلاني، التي كانت تستوطن منطقة بني عيشة بالثنية، والتي كان نفوذها يمتد من منطقة جرجرة شرقا إلى حوض الشلف غربا، والتي ينحدر منها الزعيمان فيرموس (Firmus) وجيلدون (Gildon)،[2] والقبيلة المورية التي ينتمي إليها القائد لوسيوس كيتوس (Lusius Quietus)، الذي بزغ نجمه في جبهات القتال في الشّرق في عهد الإمبراطور تراجانوس، إذ حقّق انتصارات باهرة أينما حلّ، حتى أصبح أكثر القادة شهرة وشعبية، ومن مقربي الإمبراطور، وكاد أن يخلفه على العرش الرّوماني لولا الدسائس التي حيكت ضدّه في البلاط الإمبراطوري. فمن هو هذا القائد وما هي أهمّ منجزاته العسكرية، وكيف انتهت حياته؟

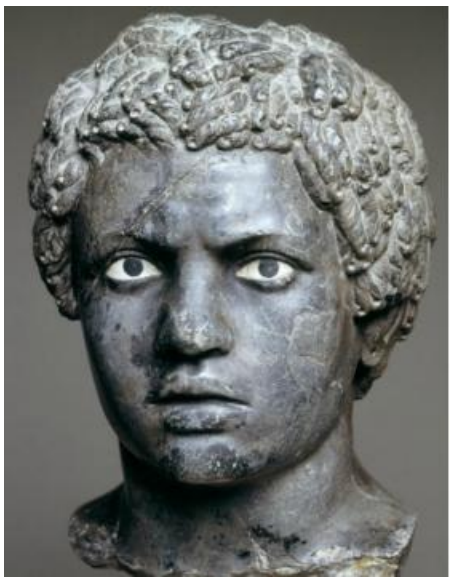

**أصل القائد لوسيوس كيتوس**

لم تتطرّق المصادر الأثرية لحياة هذا القائد، والمعلومات القليلة التي نعرفها عنه وردت في مصدرين فقط، يتضح منهما أنه ينحدر من قبيلة بدوية مورية دون تحديد موقعها ولا اسمها. أمّا المصدر الأوّل فهو ديون كاسيوس (Dion Cassius)[3] الذي يعتبره موري ورعية رومانية ينحدر من جنوب موريطانيا، بينما

1- Ibid, p. 204.

2- Ammien Marcellin, Histoire de rome, trad. M. Nisard, Paris,1860 , XXIX, 5.

3- Dion Cassius, Histoire romaine, trad. Ph. Remacle, Paris, 2004, LXVIII, 32.

يعيده تيمستيوس (Themistius)* إلى قبيلة مورية تقيم فيما وراء خط الليمس، بمعنى أنّها لا تخضع للسيادة الرّومانية، وفي هذا الشأن كتب لم يكن لوسيوس رومانيا ولا حتى ليبيا من مقاطعة ليبية، لكن من حدود بعيدة غامضة، وقد أعلن (تراجانوس) هذا الرّجل قنصلا بعد انتصاره على الماردیين (Mardi).[1]

وبالنّسبة للمؤرّخين المعاصرين اختلفت الآراء، فجيروم كاركوبينو (J.Carcopino) وبالاعتماد على وصف الخطيب الإغريقي بولمون (Polemon)** للوسيوس كيتوس في مؤلفه "كتاب الفراسة" وأطلاقه عليه كنية «رجل كويرنين» (L'homme de QWRNYN)، تساءل عن المعنى المقصود بهذه الكنية، فبالنسبة له لا يمكن أن يكون لهذه الكنية إلا معنين لا ثالث لهما، هما إمّا المكان الذي كسب فيه لوسيوس كيتوس شهرته، أو المكان الذي ولد فيه.[2]

فيما يتعلّق بالافتراض الأول يرى أنه قد يعنى المدينة أو الموقع الذي اكتسب فيه القائد الموري شهرة واسعة، وليس مستبعدا أن تكون مدينة قورينة (Cyrene) التي تصدى فيها لتمرد اليهود بأمر من الإمبراطور تراجانوس، معتمدا في ذلك على المؤرخ ديوس كاسيوس[3] الذي لم يذكر إلاّ لوسيوس كيتوس في التّصدي لتمرد اليهود، بينما تجاهل ما ذكره يوسابيوس القيصري (Eusebe de Cesarée) بأنّ الإمبراطور كلّف لوسيوس كيتوس بالتصدي لتمرد اليهود في بلاد الرّافدين[4]، والقائد مارسيوس تيربو (Q.Marcius Turbo) بهذه المهمة

---

*- تيمستيوس، خطيب وفيلسوف إغريقي عاش بين 317 و388م. استقرّ في سنة 347 بالقسطنطينية أين فتح مدرسة للبلاغة والفلسفة، بقاءه وثنيا تولى عدة مسؤوليات سياسية منها نائبا في مجلس الشّيوخ وبروقنصل وأستاذا لأركاديوس ابن تيودوز، ترك ثلاثة وثلاثين خطابا وعددا من التعاليق على أعمال أرسطو وأفلاطون.

1- Themistius, Discour XVI, 8, d'après François Chausson, Stemma aurea Constantin, Justin, Théodose revendication généalogie et idéologie impériale au IV° s., Di Bretschneider, 2007, p. 217

**- خطيب روماني ينحدر من أسرة رومانية استقرّت في آسيا الصّغرى، عاش بين 90 و144م. وصلنا من أعماله نعي القائد اللاتيني كاليماك (Callimaque) وعلم الفراسة (Physiognomonica) هذا الأخير الذي وصلنا بفضل ترجمة عربية تعود إلى القرن 14 والتي ترجمت بدورها إلى اللغة اللاتينية وعليها اعتمد الكثير من المؤرّخين الغربيين في دراسة شخصية لوسيوس كيتوس.

2- Carcopino (J.), Lusius Quietus l'homme de Qwrnyn, Istros, 1, 1934, p. 5.

3- Dion Cassius, Histoire romaine, LXVIII, 32.

4- Eusebe, Histoire ecclésiastique, LIVRES I-IV - TEXTE GREC ET TRADUCTION FRANÇAISE, PAR ÉMILE GRAPIN, CURÉ DOYEN DE NUITS (CÔTE-D'OR), PARIS, LIBRAIRIE ALPHONSE PICARD ET FILS, 1911, IV, 2, 5.

في مصر وقوريناية وقبرص[1]، كما يخالف ما اتفقت عليه المراجع العصرية التي تذكر أنّ الإمبراطور كلّف لوسيوس كيتوس بقمع التّمرّد اليهودي في بلاد ما بين النّهرين ويهوذا، بينما أوكل مهمّة وضع حدّ لتمرّد اليهود في مصر وقوريناية وقبرص إلى تيربو (Q.M.Turbo).[2]

يواصل كاركوبينو القول أن هادريان تولّى السلطة في روما قبل القضاء بصفة نهائية على تمرد اليهود في قوريناية، لذلك كلف تيربو بإنهاء المهمة بعد أن جرّد القائد الموري من فرقه الرّومانية ووحدته الموريّة التي كانت شديدة الوفاء له، مستغلا ثورة انفجرت في موريطانيا،[3] بعد أن لاحظ أنّ هذا القائد يكوّن خطرا على مستقبله بعد أن تعاظمت قوته وتوسّعت شهرته، وبالتالي تحوّلت كلمة قورينة بالحروف اللاّتينية إلى كرينة (Qrenna) باللغة العربية، ولأسباب نجهلها حُرّف الاسم عند كتابته بالحروف اللاّتينية.

أمّا الاحتمال الثاني الذي اقترحه كاركوبينو، فهو أنّ الكنية التي أطلقها بولمون على لوسيوس كيتوس ترتبط بموطنه، لذلك يجب؛ حسبه؛ البحث عن هذا المكان في غرب موريطانيا، وإذا صدّقنا ما ذكره تيمسيوس من أنّ القائد الموري جاء من وراء حدود موريطانيا، فهذا يحتّم علينا البحث عنه فيما وراء خط اللّيمس الذي يمرّ بمدنية شالة (Challa/ الرّباط) بالجنوب، ولأنّ المواقع الآهلة بالسّكان في هذه المناطق قليلة، فإنّ التّفكير يتوجّه مباشرة إلى مدينة كيرني (Cerné) التي ذكرت في رحلة حانون القرطاجي، خاصّة أنّ هذه الكلمة لما تكتب باللاتينية في حالة مفعول به تكون (CERNEN) ممّا يجعلها قريبة من QWRNYN،[4] وبذلك يعيده إلى قبيلة الباقوات.

أمّا الباحثة كريستين حمدون (Christine Hamdoune) فقد ربطت لوسيوس كيتوس بقبيلة ماكوي (Maccue)، التي كانت تستوطن غرب موريطانيا القيصرية، أين عثر على شاهدي قبرين في القُصور (El Kessour) قرب وادي السبت غرب مدينة شرشال، واحد

---

1- Ibid, IV, 3.

2- Salvador (J.), Histoire de la domination romaine en Judée et de la ruine de Jerusalem, Bruxelles, 1847, p. 286.

Themistius, loc. cit.

3- Themistius, loc. cit.

4- Carcopino (J.), op. cit., pp. 6-8.

لشخص يدعى لوسيوس فيتاليس وآخر لشخص يدعى لوسيوس ساتورنينوس، وهي ألقاب إيطالية الأصل ونادرة في بلاد المغرب القديم، حيث لم يعثر إلاّ على سبعة نقوش في إفريقية البروقنصلية تحمل هذا اللّقب، والشواهد سابقة الذكر هي الوحيدة في موريطانيا، ونفس الشيء بالنسبة لاسم لوسيوس كيتوس الذي حمله والد القائد لوسيوس بعد أن تحصل على حق المواطنة الرّومانية له ولكلّ أفراد أسرته،[1] اعترافا بالجميل لولي نعمته قائد الحرس الإمبراطوري لوسيوس جيتا (Lusius Geta)[2] الذي منحه حق المواطنة، إثر مساندته القوات الرّومانية في التّصدي لثورة أيديمون بعد اغتيال الإمبراطور كاليغولا للملك الموريطاني بطليموس.[3]

ورغم اختلاف المصادر الكلاسيكية والمراجع الحديثة في تحديد موطن لوسيوس كيتوس لكنها تتفق جميعا على أنه موري الأصل.

**دور لوسيوس كيتوس في الجيش الرّوماني**

نظرا لارتباط أسرته بالسلطة الرومانية تلقى لوسيوس كيتوس تربية رومانية، لذلك لما بلغ السن القانونية انخرط في وحدة مساعدة للفرسان متكونة من موريين، ونظرا لشجاعته وذكائه ارتقى إلى مرتبة ضابط، وأُرسل على رأس وحدة مساعدة للقتال على الحدود الشمالية للإمبراطورية على ضفاف الدانوب أو الراين، وبفضل الانتصارات التي حققها رُقّي من طرف

---

1- إنّ ذكر المصادر أنّ والد لوسيوس كيتوس هو الذي ساند الرّومان في التّصدي لثورة أيديمون واستفاد من حقّ المواطنة الرومانية قد يكون غير دقيق، وأنّ المعني بذلك هو جدّه بسبب الفارق الزّمني بين ثورة أيديمون وبروز شخصية لوسيوس كيتوس والذي يفوق 70 سنة، Wouter Vanacker, Aedemon, Lusius Quietus and the Bafquâtes, Ties of résidence and cooperation, 2013, p. 11. Dion Cassius, LXVIII, 32.

2- إنّ المصادر التي تتناول ثورة أيديمون قليلة، فهي تنحصر فيما ذكره بلينوس القديم وديون كاسيوس، لكن رواية بلينوس تحتوي على خطأ في تسلسل الأحداث، فهو يضع ثورة أيديمون في عهد الإمبراطور كلوديوس، Pline l'ancien, Histoire naturelle, livre V, texte établi , traduit et commenté par Jehan Desanges, Paris, 1980, V,1,11، وفي نفس الوقت يعيد تقسيم موريطانيا إلى مقاطعتين إلى كاليغولا، Ibid, V,1,2، في حين يذكر ديوس كاسيوس أن كلوديوس استأثر بالانتصار على الثورة الذي يعود في الحقيقة إلى سلفه؛ Dion Cassius, LX, 8.

3- Rachet (M.), Rome et les berbères, Bruxelles, 1970, p. 179; Hamdoune (Ch.), Un aspect particulier des relations entre Aedemon , les romains et les gentes: le patronat, Ant.Afr. 2001, n° 37, p. 163.

الإمبراطور دومسيان إلى رتبة فارس روماني، لكنه سُرّح بعد مدة قصيرة من ذلك لعدم انضباطه أو لأسباب أخلاقية.[1]

**عودة لوسيوس كيتوس إلى الجيش الرّوماني الحرب الداكية**

سنوات قليلة بعد أن سُرّح استغل لوسيوس كيتوس استعداد الإمبراطور تراجانوس للحرب الداكية، وحاجته الملحة للفرسان الموريين، فتقدم نحوه وعرض عليه خدماته، فرحّب الإمبراطور بذلك خاصة أن شهرته سبقته، وإثرها كون وحدة فرسان مورية (Vexilitio)، تتكون من فرسان يتمتعون بتجربة طويلة وخبرة واسعة في القتال بالمناطق الوعرة، ويتميّزون بركوب خيولهم من نوع بارب اللّينة دون سرج.[2]

حقّق القائد الموري انتصارات باهرة أكسبته وجنوده شهرة واسعة في وسط الجيش الرّوماني، وثناء كبيرا من طرف الإمبراطور، وفي هذا الشأن كتب ديوس كاسيوس[3]: «كان لوسيوس موريا وقائد جنود موريين، قاد وحدة فرسان، حُكم عليه لخطئ أخلاقي فسُرّح وجُرّد من رتبته، لكن لما كانت الحرب ضدّ الداكيين وشيكة، وأمام حاجة تراجانوس إلى مساعدة الموريين تقدم لوسيوس بنفسه نحو الإمبراطور، وخاض عمليات كبيرة، ونال التّشريفات بفضل تصرفاته، وأنجز في الحرب الثانية منجزات أكثر أهمية... حتى رُقي إلى مرتبة برايتور وتحصّل على القنصلية، وأصبح حاكما على فلسطين. لقد جلبت له هذه التّشريفات الغيرة والكراهية وتسبّبت في هلاكه.

لم يخطئ تراجانوس في الترحيب بلوسيوس كيتوس، فقد حددت كفاءته العالية في القيادة ومرونة فرسانه وشجاعتهم مصير الحملة الداكية، إذ استولى على عاصمة داكيا صارمزجتوزة (Sarmizegetusa)، وأجبر ملكها ديسبال (Decebale) الذي حوصر من طرف قوات تراجانوس من جهة وقوّات القائد لوسيوس كيتوس من جهة أخرى على الاستسلام سنة 102 م. مقابل أن يحتفظ بعرشه.[4] لكن ديسبال لم يحترم معاهدة الاستسلام التي أمضاها مع

---

1- Dion Cassius, LXVIII, 32.

2- Bertrandy (F.) , A propos du cavalier de Simithu (Chemtou), Ant. Afr. 1986, p. 57.

3- Dion Cassius, loc. cit.

4- Ibid, LXVIII, 8.

الرّومان وخرق المعاهدة سنة 105م. وهاجم القوات الرومانية، فتحرّك تراجانوس من جديد بقواته نحو داكيا وعبر نهر بيسترا (Bistra) بشمال شرق رومانيا الحالية، ودمّر كل القلاع والحصون المبنية فوق قمم الجبال، وقد لعب لوسيوس كيتوس وفرسانه دورا مهما في هذه الحرب، إذ دحروا القوات الداكية وأجبروها على الاستسلام[1] مرّة أخرى، وإثرها أعلنها تراجانوس مقاطعة رومانية. أمّا ديسبال فقد انتحر حتى لا يسقط حيّا في يد الرّومان، ويقضي بقية حياته في سجن روماني، أو يباع في سوق العبيد.

**الحرب البارثية**

أوقف الإمبراطور تراجانوس نشاطه العسكري بعد ذلك لمدة قصيرة، ليعود إلى تحركاته العسكرية، ومرّة أخرى توجه بأنظاره إلى الشرق حيث الدولة البارثية، سعيا منه لإخضاعها والوصول إلى الخليج العربي، لهذا ما أن حلّت سنة 113م. حتى حشد قوات ضخمة، وتوجه بها نحو أرمينيا، وكان من ضمن مساعديه المقربين القائد الموري لوسيوس كيتوس،[2] الذي توجّه نحو ميديا أتروبتان (Medie Atropaténe)[3] بشمال غرب بلاد فارس لإخضاع قبائل الماردبين المستوطنة جنوب شرق الأناضول[4].

توغّل لوسيوس في أراضي البارثيين بعد أن عبر نهر أراس[5] (Arax) ووصل إلى بلاد الماردبين وأنجز مهمته بنجاح قبل نهاية السّنة[6]، ومنها التحق بتراجانوس وشارك معه في الهجوم على إمبراطورية البارثيين وغزا بلاد الرّافدين[7]، وبذلك نجح الإمبراطور في إخضاع

---

1- Froehner (W.), La colonne de Trajan, Paris, 1865, p. 21; Petit (P.) , Histoire generale de l'empire romain, tome1, Le haut empire, p. 219.

2- Leschi (L.), La carriere de Q. Marcius Turbo prefet du prétoire d'Hadrien, CRAI, 1945, p. 149.24

3- ميديا أتروبتان، ويطلق عليها كذلك اسم إمبراطورية أرساسيد (Arsacide) نسبة إلى مؤسّسها الأول أرساسيد الأول، وهي دولة قامت في شمال شرق إيران الحالية، ضمّت أجزاء من سوريا وتركيا وأرمينيا وأفغانستان وبلاد الرافدين سنة 247ق.م.، واستمرّت قائمة حتى سنة 224م.

4- Sartre (M.), Le haut empire, les provinces de méditerranée orientale d'Auguste aux Severes, Paris, 1997, p.39.

5- نهر ينبع من مرتفعات أرمينيا ويصب في بحر قوزين.

6- Babelon (E.), Artaxisata, C.R.A.I., 1911, p. 37.

7- Guey (J.), Essai sur la guerre parthique de Trajan, Bucarest, C.R.A.I., 1937, p. 358.

كلّ أرمينيا وتحويلها إلى مقاطعة رومانية سنة 114م[1]، وبهذه المناسبة أصدر الإمبراطور قطعة نقدية جديدة يظهر في وجهها تراجانوس وفي قفاها أرمينيا والفرات ودجلة عند قدميه. سيسترس سك بين 116 و117م. يخلد انتصار تراجانوس على أرمينيا وبلاد الرافدين يظهر في R.I.C., 642 وجهها الامبراطور وفي قفاها أرمينيا والفرات ودجلة عند قدميه.

واصل تراجانوس تقدّمه نحو الجنوب حتى استولى على الحوض الأوسط لنهر الفرات بما فيه مدينة نصيبين[2] (Nisibe)، في نفس الوقت توجه لوسيوس نحو الجنوب الشّرقي، وبمناورة عسكرية جريئة غير منتظرة، ودون دعم توغل وسط قبائل معادية واستولى بين خريف وشتاء 114م. على سنجارة (Singara/ سنجار) الواقعة جنوب نصبين، بأقصى شمال بلاد الرافدين وكانت مركزا بارثيا شديد التّحصين.[3]

لقد اعتبر الكثير من المؤرخين أن ما قام به لوسيوس كيتوس مغامرة خطيرة حتى لا نقول انتحارية، لأنّه كان بعيدا جدا عن تراجانوس، ولم يكن بإمكان هذا الأخير أن يقدّم له أيّ دعم في حالة الضرورة، لانقطاع خطوط الإمدادات بينهما لوجود الإمبراطور فيما وراء نهر الفرات، لكنّ المتمعّن في طبيعة المنطقة يدرك أنّ لوسيوس درس تضاريسها وتعامل معها بحكمة.

توجّه لوسيوس؛ بعد أن أنجز مهمته بنجاح؛ نحو الشمال الشرقي لبلاد الرافدين واستولى على هاترا (Hatra/ الحضر) وليبانا (Libbana / قلعة شرقاط) على ضفة نهر دجلة.

---

1- Dion Cassius LXVIII, 20; Sartre ( M), loc. cit.

2- Petit (P.), op. cit., p. 219.

3- Dion Cassius, LXVIII, 22; De la Berge (C.), Essai sur le regne de Trajan, F. Vieweg, 1877, p. 169.

لقد سمحت انتصارات لوسيوس كيتوس للإمبراطور تراجانوس من تحويل شمال بلاد الرافدين إلى مقاطعة رومانية. ومكافأة للقائد الموري لما قدّمه للإمبراطورية الرومانية تمت ترقيته إلى مرتبة السناتورية، والانضمام إلى مجلس الشيوخ في السنة الموالية، ممّا سمح له بقيادة؛ إلى جانب وحدته المورية؛ عددا من الوحدات الأخرى[1].

رغم الانتصارات التي حققها لم يتوقّف تراجانوس عن النشاط العسكري، فمع ربيع 116م. تقدم في اتجاه الشرق حيث استولى على أديبان (Adiabene)*، في نفس الوقت استولت قوات رومانية أخرى على الحوض الأسفل لنهر الفرات، والتقى الجيشان عند مدخل مدينة قطيسفون (Ctesiphon)** التي سقطت في يد الرّومان وتبعتها سلوقية (Seleucie) بالمجرى الأوسط لنهر دجلة، وهذا ما سمح لتراجانوس من تأسيس مقاطعتين جديدتين هما مقاطعة بلاد الرافدين في الجنوب ومقاطعة أشوريا في الشّمال.[2]

**حرب كيتوس**

إنّ المصادر حول هذه الحرب محدودة جدا، تنحصر في كتابات ديون كاسيوس ويوسبوس القيصري (Eusebe de Cesarée) والقديس جيروم (Saint Jérôme)، أمّا الكتابات اليهودية فهي جزء من الأدب الحاخامي، تحوي صورا أسطورية مبالغ فيها وغير موثوقة.

إذا عدنا إلى نشاط الجيش الروماني، نجد أنه واصل تقدمه نحو الخليج العربي، لكن الأمور لم تسر كما خُطّط لها بسبب إهمال تراجانوس تدعيم المناطق التي أخضعها بقواعد عسكرية قوية لحماية المكتسبات التي حققها، وتثبيت الوجود الروماني، وكذلك حماية خطوطه الخلفية لتأمين وصول الإمدادات عند الضرورة. لقد شجّع هذا الخطأ البارثيين على إعادة تنظيم أنفسهم ومهاجمة القوات الرومانية من الخلف، وممّا زاد الوضع سوءا بالنسبة

---

1- Themisius, Discour 1, d'après De la Berge (C.), Essai sur le regne de Trajan, F. Vieweg, 1877, pp. 169-170; Cebeillac-Gervasoni(M) et autres, Histoire romaine, Paris, 2006, p. 238.

*- مملكة قديمة في الحوض الأوسط لنهر دجلة، عاصمتها أربال (إربيل).

**- قطيسفون، مدينة بارثية قديمة تقع على الضفة اليسرى لنثر دجلة (جنوب بغداد)، كانت العاصمة الشتوية للملوك البارثيين.

2- Petit (P.), Histoire générale de l'empire romain , le haut empire 27 av. J. C./ 161 ap. J. C., édit. Seuil, Paris, 1974, p. 219.

للقوات الرومانية تمرد اليهود في بابل وتلاحمهم مع البارثيين، بدعوى تجاوزات الجند الرومان والضرائب المرتفعة المفروضة عليهم[1].

امتد التّمرّد اليهودي بسرعة كالنّار في الهشيم إلى كلّ بلاد الرافدين التي احتُلت حديثا، وأصبح وضع الرومان حرجا خاصة بعد وصول التّمرد إلى كل من قورينايا ومصر وقبرص ويهوذا وسوريا، وما تبع ذلك من تخريب المدن والفتك بالمواطنين الرّومان والإغريق[2]، ممّا اضطرّ روما لتشتيت قواتها للدّفاع عن مكتسباتها.

لقد تفنّن اليهود في القتل والتّعذيب، إذ كانوا بعد قتل ضحاياهم يأكلون لحمهم ويتحزمون بأمعائهم، ويدهنون أيديهم بدمهم، ويتدثّرون بجلودهم، كما قطّعوا الكثير من الأعلى إلى الأسفل، بالإضافة إلى ذلك كانوا يجبرون المواطنين الإغريق والرّومان والأسرى من الجنود، على النزول إلى ميادين القتال بالمدرجات، وأن يتصارعوا فيما بينهم حتى الموت، أو مع الحيوانات المفترسة، بدعوى الانتقام ممّا فعله الإمبراطوران فيسباسيانوس وتيتوس مع الأسرى اليهود في حرب سنوات 66/ 70م.[3] ويقال أن اليهود قتلوا في قورينايا 220 ألف إغريقي وروماني، ودمّروا كل شيء حتى أصبح ساحلها قفرا، ونفس الجرائم ارتكبوها في كل من مصر وقبرص، حيث قتلوا في قبرص وحدها أكثر من 240 ألف[4]. رغم المبالغة الواضحة في الأرقام المقدمة من طرف ديون كاسيوس، نستنتج أنّ عدد الضحايا كان مرتفعا، فبالنّسبة لقورينايا قد يكون 20000، حيث أنها لم تكن عامرة بالشّكل الكثيف، خاصة أنّ عدد مدنها قليل، وعدد سكانها غير مرتفع جدا.

أمام هذه التّطورات الخطيرة غيّر تراجانوس خططته وعاد على خطاه في محاولة لاسترجاع الأراضي التي فقدها، وقد واجهته مقاومة عنيفة، وأصبح هو وجنوده في وضع لا يحسد عليه بعد أن أصبح مهددا بالحصار من طرف المتمرّدين.

---

1- Ibid., p. 220.

2- Sartre (M), op. cit., p. 384.

3- Mommsen (Th.), Histoire romaine , livre VI, Les provinces sous l'empire, trad. De l'allemand par R.Cagnat et J.Toutain, Paris, 1985, p. 880.

4- Eusebe, Histoire ecclésiastique, IV, 2, 5.
Dion Cassius, LXVIII, 32.

في هذا الظرف العصيب استنجد الإمبراطور تراجانوس برجل المهمات الصعبة لوسيوس كيتوس، وكلّفه بوضع حد للتمرد الذي تزعّمه أبجر السابع (Abgar VII/ بارالزاد) ملك الرهى العربية (Osroene)[1] الواقعة شمال غرب بلاد الرافدين، الذي استغل تمرد اليهود ليتخلى عن الرومان ويتحالف مع البارثيين[2]. وبسرعة كبيرة أنجز لوسيوس كيتوس المهمة على أحسن وجه، وقد كان تدخل القائد الموري عنيفا عنف ثورة اليهود، إلى درجة أنّ اسمه ترسّخ في عقول اليهود لعشرات السنين، بحيث قضى على عدد كبير من المتمرّدين اليهود والبارثيين في بابل[3]، وأخمد ثورة اليهود، ودفع الملك أبجر السابع إلى الانتحار، واسترجع أرمينيا الجنوبية والمراكز ذات الكثافة السّكانية اليهودية مثل مدن بابل ونصبين، وحَوّل الرهى (Edessa/ أورفة) إلى أطلال[4]. وفكّ الحصار على الجيش الروماني، وسمح له بالانسحاب إلى مواقع آمنة فيما وراء نهر الفرات[5].

لقيت أعمال لوسيوس استحسان الإمبراطور، لذلك كافأه بتعيينه حاكما على مقاطعة يهوذا (Judée) برتبة قنصل[6]. واصل بعدها لوسيوس مطاردة اليهود المتمردين، ونجح في الاستيلاء على مدينة ليدا (Lydda/ اللّد) آخر معقل لهم وأعدمهم جميعا، ثمّ وجه اهتمامه إلى الطائفة اليهودية الدينية والسّياسية المتطرفة المعروفة باسم الزيلوت (Zelote)، التي كانت تحرض على التّمرد ضدّ الوجود الروماني لتحرير يهوذا باستعمال كلّ الطّرق والوسائل بما فيها العنف، وقد توّج لوسيوس قضاءه على التمرد اليهودي بإقامته تمثالا للإمبراطور تراجانوس في معبد القدس. ونظرا للدور الذي لعبه لوسيوس كيتوس في القضاء على هذا التمرد حملت حربه على اليهود اسمه، وأصبحت تعرف لدى اليهود والمؤرّخين باسم "حرب كيتوس" كما تعرف أحيانا بحرب الشتات.

---

1- تعرف مملكة الرهى أحيانا باسم عاصمتها إديسا، Amir Harrak, The ancient Name of Edessa, Journal of near eastern studies, vol. 51, 1992, pp. 209/ 214; Petit (P.), op. cit., p. 219.

2- Segal (J. B.), Edessa the blessed city, Gorgia Press, 2005, p. 13.

3- Eusebe, Histoire ecclésiastique, IV, 2, 5.

4- Dion Cassius, LXVIII, 30; Petit (P.), loc. cit.

5- Petit (P.), loc. cit.

6- Fevrier (P. A.), l'histoire auguste et le Maghreb, pp. 117-119.

**نهاية لوسيوس كيتوس**

لقد اعتبر لوسيوس كيتوس بفضل كفاءته وشجاعته وحنكته العسكرية والخدمات الجليلة التي قدّمها للإمبراطورية الرومانية، من أحسن القادة العسكريين في عهد تراجانوس[1]، فقد شارك في كلّ الحملات العسكرية الكبرى لهذا الإمبراطور، وجلب الأنظار بجرأته وشجاعته وانتصاراته حتى أصبح من القادة المقربين للإمبراطور، وهذا ما جعله يخلده صحبة فرسانه الموريين في العمود الذي أقيم على شرفه تخليدا لحربه على داكيا، الذي يظهر فيه لوسيوس كيتوس وجنوده الموريين يمتطون فراسانهم.

**الفرسان الموريون بقيادة لوسيوس كيتوس في حرب داكيا كما ظهروا في عمود تراجانوس**

كما خلّده كذلك في قوس النصر الذي أقيم على شرفه في بنيفونت (Benevent)، أين يظهر في مقدمة المشهد تراجانوس يستمع للوسيوس كيتوس، في حين يقف هادريانوس في الخلف في وضع الشخصية الثانوية، بينما تترجى بلاد الرافدين رحمة وشفقة الإمبراطور[2].

ويظهر أن تراجانوس أراد السّير على خطى سلفه نيرفا الذي اختاره ليخلفه على العرش، وهو الإسباني المولد بدل اختيار أحد أقاربه، لأنه أخذ بعين الاعتبار القدرة والكفاءة،

---

1- Petit (P.) , op cit, p. 169.

2- Veyne (P.), Une hypothèse sur l'arc de Benevent, M.E.F.R., 1960, n° 72, pp. 202-206.
Chausson (F.), op. cit., p. 217.

لذلك اختار القائد الموري ليرتقي على العرش الروماني بعده، لكن الوقت لم يسعفه، فقد مات في الشرق دون أن يرسّم ذلك في وصية، ممّا فتح المجال للمؤامرات والدّسائس[1] التي قادتها زوجته بلوتين (Plotine).

يمثّل هذا المشهد تراجانوس يفكّر وهو يستمع لنصائح لوسيوس كيتوس (الجزء الأيمن من قوس النّصر لبونفونت Benevent العلوي) مع بعض مقربيها، لإيصال هادريانوس الذي كان مقربا منها إلى العرش، مدعية في رسائل مليئة بالادّعاءات الكاذبة، أن تراجانوس تبنى في آخر أيامه هادريانوس واختاره ليخلفه على العرش، ونجحت في إقناع بعض قادة الجيش بذلك، وقد أكدّ ماركوس كاسيوس أبرونيانوس (Marcus Cassius Apronianus) حاكم مقاطعة كليكيا في سنة 182م. ودلماسيا بعد 184م. لابنه المؤرّخ ديون كاسيوس عدم وجود أيّ أثر لتبني تراجانوس لهادريانوس كما تدعيه بلوتين، وذكر في هذا الشأن: "أنّ موت تراجانوس بقي مخفيا لعدّة أيّام حتى ينتشر خبر تبنيه لهادريانوس في الأوساط الشعبية، ودليل هذا التزوير أنّ الرسالة التي أُرسلت إلى مجلس الشيوخ أُمضيت من طرفها وليس من

1- Chausson (F.), op. cit., p. 217.

طرف الإمبراطور.[1] ويؤكّد هذا الرّأي أورليوس فيكتور عندما كتب: "أنّ بعض الكتاب يعتقدون أن هادريانوس يدين لبلوتين زوجة تراجانوس في اعتلاءه العرش التي ادّعت أنّ الإمبراطور عين قريبه وريثا له بوصية..."[2].

مات تراجانوس بعد حرب بارثيا واليهود في 18 أوت 117م. في سلنيوس (Selinius) بكليكيا، وبقي لوسيوس كيتوس في منصبه كحاكم ليهوذا حتى عزله الإمبراطور الجديد، وجرّده من وحدته العسكرية المورية[3]، ثمّ استدعاه إلى روما وقتل وهو في الطّريق نحوها في صيف 118م.[4] بأمر من مجلس الشيوخ فيما عرف بـ "قضية القناصل الأربعة" بتهمة التآمر على الإمبراطور ومحاولة قتله بهدف الاستيلاء على العرش الإمبراطوري.

لكن في ماذا تمثّلت هذه المؤامرة وما مدى صحّتها؟

إنّ المصادر التي تطرّقت إلى هذه المؤامرة محدودة، فهي تنحصر في ما ذكره ديون كاسيوس وما ورد على لسان أيليوس سبارسيانوس في مؤلف التاريخ الأوغسطي. أمّا بالنّسبة لديوس كاسيوس[5] فقد كتب: «... رغم أن هادريانوس كان إنسانيا لم يمنع ذلك من ذمّه بسبب قتله بعض الرجال المرموقين، جريمة ارتُكبت في بداية حكمه ... الذين قُتلوا في البداية هم بالما (Palma) وسلسوس (Celsus) ونغرنوس (Nigrinus) ولوسيوس بتهمة محاولة اغتياله في رحلة صيد... لكن سبب قتلهم الحقيقي يعود لكون تأثيرهم كان كبيرا، ولأنّهم يحبون الثروة والشهرة...».

أمّا سبارسيانوس[6] فقد ذكر: «... نصب نيغرنوس مكيدة للإمبراطور هادريانوس بتواطؤ من لوسيوس كيتوس وآخرون، كان مقررا ضربه عندما يكون منشغلا بتقديم قربان، نجا هادريانوس من هذا الخطر وقتل المتآمرين الأربعة، بالما في تراسين (Terracine)

---

1- Dion Cassius, LXIX, 1.

2- Aurelius Victor, Les cesars, trad. N.A.Dubois, Paris, 1846, Ulpien Trajan, XIII.

3- Histoire Auguste, Spartianus, Vie d'Hadrien, trad.M.Fl.Legay, Paris, 1844, V.

4- Dion Cassius, LXIX, 2; Vie d'Hadrien, 7.

5- Dion Cassius, loc cit

6- Histoire Auguste, Spartiannus, Vie d'Hadrien, VII.

وسلسوس في بابيس (Baïes) ونيغرنوس في فاينزة (Faenza/ فاينزا)، ولوسيوس وهو في الطريق إلى روما، نُفذّت هذه الإعدامات بأمر من مجلس الشيوخ و ضد إرادة هادريانوس، أو على الأقل هذا ما يقوله..».

إنّ محاولة تبرئة هادريانوس من هذه الجريمة بإعادتها إلى مجلس الشيوخ غير منطقي، فمن يصدّق أن هذا الأخير يتجرّأ على تصفية أربع من أبرز ممثّليه، أربع قادة عسكريين بارزين قدّموا للإمبراطورية أعمالا جليلة دون إذن من الإمبراطور، وإلاّ كيف نفسر تقدم هذا الأخير أمام مجلس الشيوخ لتبرئة نفسه ممّا حدث وتعهدّه بعدم تجدد ذلك مستقبلا.

بالإضافة إلى ذلك إذا نظرنا إلى هذين المصدرين نلاحظ بعض الاختلافات، منها:

1 . ظروف العملية فديون كاسيوس يذكر أن محاولة الاغتيال كانت ستتم إثر رحلة صيد في إحدى غابات ميسي (Mysie)، بينما يذكر سبارسيانوس إن المتهمين كانوا يخططون لتنفيذ جريمتهم بمناسبة تقديم الإمبراطور قربانا.

2 . كيف يمكن أن يشارك القادة الأربعة في عملية الاغتيال وهم متفرقون، حيث يفصل بينهم مئات الكيلومترات إذ لم يكن بجانب هادريانوس سوى لوسيوس كيتون، بينما كان بالما في تراسين بسهل اللاتيوم وسلسوس في بايي الواقعة شمال خليج نابولي ونيغرنوس في فاينزا بالشمال الشرقي لشبه جزيرة إيطاليا. لذلك نعتقد إن وجود من اعتُبروا متآمرين في أماكن متباعدة عن بعضها بمئات الكيلومترات يصعب الاتّصال بينهم وبالتّالي يعقد عملية التّنسيق لتنفيذ الاغتيال.

نتيجة للأسباب السّابقة يشكّك الكثير من المؤرّخين الذين انكبوا على دراسة ما أطلق عليه قضية القناصل الأربعة "في وجودها أصلا، ويعتبرون ما كتبه سبارسيانوس افتراء، ومن هؤلاء المؤرّخين جيروم كاركوبينو الذي كتب بشأن هذه القضية:« إن هذه المؤامرة مفتعلة من طرف الادّعاء كما تفعل الشرطة اليوم...»[1]. في نفس الوقت هنالك من يعتقد في صحة المؤامرة، لكنهم بنوا رأيهم على تخمينات فقط بسبب عدم وجود أدلّة مقنعة، ومنهم ليو هومو (L.Homo) وبرنار دورجفال (Bernard d'Orgeval).

1- Passion et politique chez les césars, édit. Hachette, Paris, 1958, p. 172.

السّؤال الآخر الذي يطرح نفسه هو لماذا ارتكب هادريانوس هذه الجريمة في حق لوسيوس الذي يعتبر أحد أبرز القادة الذين عرفتهم روما؟

إنّ ارتكاب هادريانوس لهذه الجريمة في حق لوسيوس يعود لإدراكه أنّه يكوّن منافسا له على العرش الروماني، خاصة أنّه يدرك أنّ تراجانوس لم يتبناه ولم يورّثه العرش، لأنّ تاريخ القائد الموري حافلا بالانتصارات والانجازات العسكرية، وما حقّقه في الشرق أحسن دليل على ذلك ولأنّ لوسيوس شخصية عسكرية قوية تتميز بالشّجاعة والذكاء الحاد وروح مبادرة خارقة للعادة وخيالا فياضا، وهي خصائص يفتقر لها هادريانوس. كما أنه لم يغفر للوسيوس كيتوس تفضيل تراجانوس له، خاصة أنّه كان يتميّز بروح التّعالي ولا يرى في لوسيوس مواطنا رومانيا بل رعية قادمة من أقاصي موريطانيا، وفي هذا الشأن كتب ديون كاسيوس: «... لم يتبن تراجانوس هادريانوس، كان من نفس المدينة وكان وصيا عليه، ودخل معه في مصاهرة بعد أن تزوج ابنة أخيه أو أخته، كان دائما معه يتقاسم حياته... لكن لم يحصل على أيّة تشريفات خاصة، حتى أنه لم يحصل على القنصلية في بداية السنة...»[1]، وأكثر من ذلك أظهر تراجانوس نفوره واشمئزازه من اختياره وريثا له.

والخلاصة أنّ مقتل لوسيوس كيتوس ورفاقه بأمر من هادريانوس يعتبر تصفية جسدية لشخصيات قويّة ذات شأن في روما، تفوقه قدرا ومكانة خاصة في الوسط العسكري والشعبي الروماني، ولم يكن بإمكانه منافستها، لذلك جاء التخلص منها ليفسح لنفسه المجال للتصرّف في شؤون الإمبراطورية كما يراه، خاصة أنّه سار في خط مغاير تماما لما كان عليه تراجانوس، حيث تخلى عن الكثير من المكاسب التي حققها سلفه في الشّرق.

1- Dion Cassius, LXiX, 1.

## قائمة المصادر والمراجع:


1. Amir Harrak , The ancient Name of Edessa, Journal of near eastern studies, vol. 51, 1992.
2. Ammien Marcellin, Histoire de rome, trad. M.Nisard, Paris, 1860.
3. Aurelius Victor, Les cesars, trad. N.A. Dubois, Paris, 1846, XIII.
4. Babelon (E.) , Artaxisata, C.R.A.I., 1911.
5. Benseddik (N.), Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie Césarienne sous le Haut-Empire, Alger, 1979.
6. Bertrandy (F.), A propos du cavalier de Simithu (Chemtou), Ant. Afr., 1986.
7. Carcopino (E.), Passion et politique,chez les cesars, edit. Hachette , Paris, 1958
8. Carcopino (J.), Lusius Quietus l'homme de Qwrnyn, Istros , 1, 1934.
9. Cebeillac-Gervasoni(M) et autres, Histoire romaine, Paris, 2006.
10. Dion Cassius, Histoire romaine, trad. E. Gros, Paris, 1845.
11. Eusebe, histoire ecclésiastique, livres i-iv - texte grec et traduction française, par émile grapin, curé doyen de nuits (côte-d'or), paris, librairie alphonse picard et fils, 1911.
12. Fevrier (P.A.), l'histoire auguste et le Maghreb, Ant. Afr., 1986, n° 22.
13. François Chausson, Stemma aurea Constantin, Justin, Théodose revendication généalogie et idéologie.
14. Froehner (W.), La colonne de Trajan, Paris, 1865.
15. Guey (J.), Essai sur la guerre parthique de Trajan, Bucarest, C.R.A.I., 1937.
16. Hamdoune (Ch), Un aspect particulier des relations entre Aedemon, les romains et les gentes : le patronat, Ant.Afr. 2001, n° 37.
17. Histoire Auguste, Spartianus, trad. M.Fl. Legay, Paris, 1844, Vie d'Hadrien impériale au IV°s., Di Bret schneider, 2007.
18. Leschi (L.), La carrière de Q. Marcius Turbo préfet du prétoire d'Hadrien, CRAI, 1945.
19. Petit (P.), Histoire générale de l'empire romain, le haut empire 27 av. J. C./ 161 ap. J. C., édit. Seuil, Paris, 1974.
20. Pline l'ancien, Histoire naturelle, livre V, texte établi, traduit et commenté par Jehan Desanges, Paris, 1980.
21. René Cagnat, L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs (2$^{eme}$ édition), 1912.
22. Salvador (J.), Histoire de la domination romaine en Judée et de la ruines de Jérusalem, Bruxelles, 1847.
23. Sartre (M.), Le haut empire, les provinces de méditerranée orientale d'Auguste aux Sévères, Paris, 1997.
24. Segal (J. B.), Edessa the blessed city, Gorgia Press, 2005.
25. Veyne (P.), Une hypothèse sur l'arc de Benevent, M.E.F.R., 1960, n° 72.
26. Wouter Vanacker, Aedemon, Lusius Quietus and the Baquates, Ties of residence and cooperation, 2013, Histoire.